التوحيد في الصحيحين وأصول الكافي
دراسة تحليلية نقدية مقارنة

د. حميـــدة صبـــّار كاظم الأعرجي
جامعة الكفيل

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى آله الطيبين الطاهرين،. منذ أوجد الله سبحانه وتعالى الإنسان على هذه البسيطة، سلّحه بفطرة التوحيد.. ولازال -سبحانه- يذكّر بها على أيدي الأنبياء والرسل كلّما غفل الإنسان عنها وشغلته الدنيا بغرورها. إلى أن آل الأمر إلى سيد الخلق وخاتم الرسل محمد (صلى الله عليه وآله) الذي جعل من التوحيد قطبٌ تدور عليه كل فضيلة. «فبدأ بالدعوة المجردة والصبر على الأذى في جنب الله، ثم الدفاع عن بيضة الإسلام ونفوس المسلمين وأعراضهم وأموالهم، ثم القتال الابتدائي الذي هو دفاع عن حق الإنسانية وكلمة التوحيد، ولم يبدأ بشيء من القتال إلّا بعد إتمام الحجة بالدعوة الحسنة، كما جرت عليه السنة النبوية، قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ ربّكَ

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(١)»(٢).

وجاء يوم الفتح بنصر الله، ودخل الناس (...فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا(3).. سواء بإيمان وتسليم، أم بخضوع واستسلام، فائتلفت الفرقة ولـُمَّ شمل الأمّة على كلمة التوحيد، وكان الأمر يومئذٍ لله الواحد القهار، ولرسوله (صلى الله عليه وآله) وهو بين ظهرانيهم، وما كاد أن يلحق (صلوات الله عليه وعلى آله) بربّه ويترك هذا العالم، حتى عادت الفرقة من جديد، وتلاعبت الأهواء بالفرقاء، الذين أقصوا آل محمد (صلوات الله عليهم) عن مناصبهم، وأحلّوا غيرهم في محالّهم، الأمر الذي جعل الفكر الإسلامي شتّى، وعرضة للمتربّصين ومتحيّني الفرص للولوج إليه، وإسقاط عقائدهم عليه..

وقد نجح كعب الأحبار -وبامتياز- في أن يكون الرائد في ذلك، بعد أن مهّد أبو هريرة الأرضية الخصبة له، فأخذ «يلّقنه من إسرائيلياته، ويدس له من خرافاته، وكان المسلمون يرجعون إليه فيما يجهلون... ومن أجل ذلك هرع أبو هريرة إليه، ليأخذ منه ويتتلمذ عليه، وسال سيل روايتهما، ولاسيما بعد أن خلا الجو لهما، بموت عمر واختفاء درته... وقد وجد كعب بغيته في أبي هريرة الذي يزعم أنه أحفظ الناس لحديث رسول الله، وأنه نعم التلميذ النجيب الذي يحمل عنه ما يريد بثه مما يفسد عقائد المسلمين»(٤).

وإذا كان العجبُ من أبي هريرة أنه قد أكثر الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الرغم من أنه لم يصحبه إلّا سنتين أو أقل، فالعجب الأكبر ممن كتب الصحاح ولم يورد في أبوابها العقدية إلّا ما رواه أبو هريرة.. وكأنّ أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الباب -والتي أسموها بالصحيحة- اختزلت بأجمعها في فكر هذا العلّامة الفهّامة!!. ما يدعو للأسف على أولئك المسلمين الذين جعلوا من هذا الصحابي المتذبذب العقيدة مصدرًا فردًا لعقيدتهم التوحيدية، بعد أن حجّموا العقل وأنكروا وظيفته التي جعلها الله تعالى له.

ومن هنا كان سبب اختياري لموضوع البحث؛ لإيراد العقيدة التي أسس أصولها أئمة الهدى من آل المصطفى (صلوات الله عليهم أجمعين)، والتي جاءت متناغمة مع أحكام العقل والفطرة السليمة، كي يتبين للقارئ مدى البون الشاسع بين الفكر الإمامي والفكر السطحي الذي تمسك به بعض المسلمين.

ويجدر التنويه إلى أني درست موضوع

البحث من خلال التمهيد له بالتعريف بمكانة كل من كتب (الصحيحين، والكافي) عند المسلمين، ثم أعقبته بمبحثين، كان الأول للتعريف بمفهوم التوحيـــــد وبعض مراتبه عند المتكلمين وتم تناوله في مطلبين، فيما خصصت المبحث الثاني لعرض أحاديث التوحيد التي رويت في كل من الصحيحين (البخاري، ومسلم)، مع شرح موجز لمعناها من وجهة نظر المدرسة الحديثية على وجه الخصوص أي دون التعرّض لآراء المدارس الإسلامية الأخرى- ، ومن ثم نقد رؤية هذه المدرسة بما رواه الإمامية من أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) في الأصول من كتاب الكافي.. ثم ختمت البحث بما ترشح عندي من نتائج.

تمهيد
مكانة الصحيحين والكافي عند المسلمين

قبل الدخول في موضوع البحث، لابد من تبيين سبب اختيار كتابي (الصحيحين) والأصول من كتاب (الكافي) لدراسة أهم ركن من أركان الدين، والذي تبتني عليه أصول العقيدة أجمع، ألَا وهو (التوحيد)؛ لذا سيتم تبيين ذلك من خلال النقطتين الآتيتين:

أولًا: مكانة الصحيحين عند أهل السنّة

المقصود بهما: (صحيح البخاري) لـ محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، والآخر (الجامع الصحيح) لـ مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) المعروف بـ(صحيح مسلم)، اللذَين جمعا فيهما من أحاديث وسنن منسوبة إلى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وإلى أصحابه، وادّعيا صحتها وتميزهما عمّا سبقهما من تصنيفات في هذا المجال.

إذ من المعروف أنَّ هناك كثير من المصنّفين سبقوا البخاري ومسلم في كتابة حديث النبي (صلى الله عليه وآله)، منهم : (عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي (ت: ٢١٢هـ)، وأبو الحسن مسدد بن مسرهد البصري (ت: ٢٢٨هـ)، ونعيم بن حماد الخزاعي (ت: ٢٢٨هـ)) في مسانيدهم.. ثم اقتفى العلماء بعد ذلك أثرهم، فقلَّما تجد أحدًا من الحفّاظ إلّا وصنّف حديثه على المسانيد(*)، منهم : (الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة، وغيرهم)، ولكن البخاري كان يرى هذه المصنّفات -بحسب الوضع- جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين، وكثير منها يشمله التضعيف؛ ولذا ارتأى جمع الحديث وفق ما اشترطه من شروط على الرواة والأسانيد؛ ليكون صحيحًا ولا

يرتاب فيه أمين[٦].

ورُوي عنه -أي البخاري- أنه كان يقول: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) في الرؤيا وكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذبُّ بها عنه، فسألت بعض المعبّرين فقال لي: أنت تذبّ عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح.. وكان يقول: ما كتبت في كتاب الصحيح حديثًا إلّا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين، وقال: لم أُخرج في هذا الكتاب إلّا صحيحًا، وما تركت من الصحيح أكثر[٧].

ومما لا شك فيه، أنَّ هذين الكتابين حظيا بمكانة مقدسة -بقطع النظر عن الأسباب- عند فرق المسلمين من غير الإمامية، بل اتفقوا على رفعهما إلى منزلة عالية تقاربّ منزلة القرآن الكريم من حيث قطعية صدوره، وبالغ الحافظ أبو نصر الوايلي السجزي (ت: ٤٤٤هـ) في إجماع أهل العلم -الفقهاء وغيرهم- على صحة كتاب البخاري، فقد نُقِل عنه قوله: «أنَّ رجلًا لو حلف بالطلاق أنَّ جميع ما في كتاب البخاري مما روي عن النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) قد صح عنه، ورسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) قاله، لا شك أنه لا يحنث، والمرأة بحالها في حبالته»[٨].

وقال ابن الصلاح (ت: ٦٤٣هـ): «أول مَن صنّف الصحيح: البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم، وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري... وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز»[٩].

وقال النووي (ت: ٦٧٦هـ): «اتفق العلماء رحمهم الله على أنَّ أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان، البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمّة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة... ومن أخصر ما ترجح به اتفاق العلماء على أن البخاري أجلّ من مسلم وأعلم بصناعة الحديث منه، وقد انتخب علمه ولخص ما ارتضاه في هذا الكتاب وبقي في تهذيبه وانتقائه ست عشرة سنة، وجمعه من ألوف مؤلفة من الأحاديث الصحيحة»[١٠].

غر أنّ صحيح مسلم تميّز عن صحيح البخاري في كونه أسهل تناولًا، إذ جعل مسلم لكل حديث موضعًا واحدًا يليق به جمع فيه طرقه التي ارتضاها واختار ذكرها وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة، بخلاف البخاري، فإنه يذكر الحديث الواحد في أبواب متفرقة متباعدة، وكثير منها يذكره في غير بابه؛ الأمر الذي يصعب على الطالب جمع طرقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره البخاري من طرق

هذا الحديث. ومما جاء في فضل صحيح مسلم، قول مسلم فيه: لو أنَّ أهل الحديث يكتبون مئتي سنة الحديث، فمدارهم على هذا المسند -يعني صحيحه-، وقال: صنّفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمئة ألف حديث مسموعة[١١].

ومما سبق، فإنّ جميع ما جاء من أحاديث في هذين الكتابين -بما فيها أحاديث العقيدة- يأخذ بها المسلمون -من غير الإمامية- أخذ المسلّمات، ولكنهم يختلفون في قراءتها وفهمها؛ لما ورد فيها كثير من الشبهات العقدية التي تفضي بطريق وبآخر إلى التجسيم والتشبيه، والنيل من تنزيه الذات الإلهية المقدسة..

ولهذا السبب، ارتأى البحث تسليط الضوء على بعض هذه القراءات وبصورة مقارنة مع الرؤيا الإمامية لأصل (التوحيد).

ثانيًا: مكانة (الكافي) عند الإمامية

ألّف الشيخ أبو جعفر محمد بن إسحاق الكليني (ت: ٣٢٨ أو ٣٢٩هـ) الملقّب بـ (ثقة الإسلام) كتاب (الكافي) بناءً على طلبٍ من بعض الشيعة الذين كانوا بحاجة إلى معرفة حقائق بعض الأمور التي أشكلت عليهم جرّاء تعدد الروايات واختلافها. وبحسب تعبيره أنهم طلبوا منه أن يكون عندهم «كتاب كافٍ يجمع [فيه] من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها العمل، وبها يؤدي فرض الله عز وجل وسنّة نبيّه (صلى الله عليه وآله)»[١٢]، فأجابهم الشيخ بقوله: «أنه لا يسع أحدًا تمييز شيء مما اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه، إلّا على ما أطلقه العالِم [يقصد الإمام الصادق] بقوله عليه السلام: (اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عز وجل فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه) ... وقوله عليه السلام: (خذوا بالمجمع عليه، فإنَّ المجمع عليه لا ريب فيه)»[١٣]، ثم انبرى إلى تلبية طلبهم في تأليف الكتاب، محاولًا أن يتوخى الصحّة في مروياته وعدم التقصير في ذلك قدر ما استطاع إليه سبيلا.. كما في قوله: «وأرجو أن يكون بحيث توخيت، فمهما كان فيه من تقصير فلم تقصر نيّتنا في إهداء النصيحة، إذ كانت واجبة لإخواننا وأهل ملّتنا»[١٤].

وكتاب (الكافي) أول كتاب حديثي موسوعي بعد عصر الأئمة من آل بيت النبوّة (عليهم السلام) ضم أحاديثهم وأسانيدهم إلى النبي (صلى الله عليه وآله). إذ ألّفه الشيخ الكليني في عصر النوّاب الأربعة عن الإمام الثاني عشر (عليه

السلام) في غيبته، ويعتقد بعض العلماء أنه عُرِض على الإمام المنتظر -صلوات الله عليه- فاستحسنه[١٥]. ولذا أصبح هذا الكتاب من أجلِّ كتب الحديث عند الإمامية.

فقد وصفه الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) بقوله: «وهو من أجلِّ كتب الشيعة وأكثرها فائدة»[١٦]، ويُنقل عن الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي (ت: ٧٨٦هـ) في إجازته لابن الخازن، قوله: «كتاب الكافي في الحديث الذي لم يُعمل للإمامية مثله»[١٧]، وقال فيه السيد بحر العلوم (ت: ١٢١٢هـ): «كتاب الكافي الذي صنَّفه هذا الإمام -طاب ثراه- ... كتاب جليل عظيم النفع، عديم النظير، فائق على جميع كتب الحديث بحسن الترتيب، وزيادة الضبط والتهذيب، وجمعه للأصول والفروع، واشتماله على أكثر الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار -عليهم السلام-»[١٨].

ومن هنا جاءت أهمية كتاب الكافي عند الإمامية؛ لأنهم يعدونه مصدرًا مهمًا في الجانبين العقدي والفقهي، وله تأثير واسع النطاق في الفكر الفقهي على تعاقب العصور، وما زالت تأثيراته واضحة وبالدرجة نفسها؛ لاعتبارات تتعلق بالكتاب ذاته من جهة، وبمؤلِّفِه من جهة أخرى[١٩].

وعلى الرغم من أنَّ الشيخ الكليني حاول أن يجمع في (الكافي) ما صح عنده من أحاديث -كما أوضح في مقدمة الكتاب- وعلى الرغم من المكانة المعتبرة التي حظي بها الكتاب عند الإمامية، إلّا أنَّ علماء الأصول منهم لم يعطوه -ولا غيره من كتب الحديث- درجة الصحة التي أعطاها علماء أهل السنة إلى صحيحي البخاري ومسلم، بل محّصوا وغربّلوا ما فيه من أحاديث، وعرّضوا بعض رجاله إلى النقد والتجريح، حتى قالوا: إنَّ في الكافي -وفي غيره- ما هو الصحيح، وما هو الحسن، وما هو الموثق، وما هو الضعيف الذي لا يفيد علمًا ولا عملًا[٢٠].

إذ القاعدة عندهم -أي عند أصوليي الإمامية- هي عرض جميع ما جاء من أحاديث على الكتاب العزيز، فما وافقه أخذوا به، وما عارضه طرحوه ولم يعملوا به؛ لما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) قولهم: «ما أتاكم عنّا فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوا به وما خالفه فاطرحوه»[٢١]؛ لأنّ المعروف عن أصحاب الحديث أنهم ينقلون الغث والسمين، ولا يقتصرون في النقل على المعلوم، فأخبارهم مختلطة لا يتميز منها الصحيح من السقيم إلّا بنظر في الأصول، واعتماد على النظر

الذي يوصل إلى العلم بصحة المنقول[٢٢].

ومنه قول السيد محمد الطباطبائي (ت ١٢٤٢هـ): «الذي عليه محققو أصحابنا عدم حجية ما ذكره الكليني، إذ لم يعتمدوا على كل رواية مروية في الكافي، ولا صححوها... بل شاع بين المتأخرين تضعيف كثير من الأخبار المروية فيه سندًا... وقد اتفق لجماعة من القدماء كالمفيد وابن زهرة وابن إدريس والشيخ والصدوق الطعن في بعض أخبار الكافي»[٢٣] ، وكذا قول السيد الخوئي (ت:١٤١٣هـ) -بعد أن ناقش الأقوال في مرويات الكافي-: «والمتحصّل أنه لم تثبت صحة جميع روايات الكافي، بل لا شك في أنَّ بعضها ضعيفة، بل إنَّ بعضها يُطمأن بعدم صدورها من المعصوم (عليه السلام)»[٢٤].

وأخيرًا يمكن الخلوص إلى القول بأنَّ علـماء الإمامية لم يُفرِطوا في صحة كتاب (الكافي)، ولم يفرِّطوا -في الوقت نفسه- بما فيه من روايات معتبرة، غاية الأمر أنهم لهم قواعدهم وأصولهم الخاصة في اعتماد ما اعتُبِر من رواياته.

المبحث الأول

تعريفٌ بمفهوم التوحيـــــد

التوحيد بمفهومه العام والإجمالي متعارف عليه بين عامة المسلمين فضلًا عن علمائهم، إلّا أنَّ تفصيل هذا المفهوم وحق معرفته التي يريدها الإسلام من المسلم، غير جلي عند أغلب علماء المسلمين فضلًا عن عامتهم. لذا سيقف البحث في المطلبين الآتيين وقفة سريعة مع هذا المفهوم؛ لوضع اللبنة الأولى التي يبتني عليها أصل التوحيد في المفهوم الإسلامي الحق.

المطلب الأول

التوحيد في اللغة والاصطلاح

أولًا: التوحيد في اللغة:

الوَحْد: المنفرد. وكل شيء على حِدَة بائن من آخر. والرجل الوحيد، هو المنفرد لا أنيس معه[٢٥]. قال أبو إسحق النحوي: الأحد شيء بُنِيَ لنفي ما يُذكر معه من العدد، والواحد بُنِيَ على انقطاع النظير وعوز المثل، والوحيد بُنِيَ على الوحدة والانفراد عن الأصحاب من طريق بينونته عنهم[٢٦]. وقال ابن سيده: فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى، وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل، ولا يجمع هذين الوصفين إلّا الله عز وجل[٢٧].

والتوحيد، هو: الإيمان بالله وحده لا شريك له. والله الواحد الأحد: ذو الوحدانية والتوحد[٢٨].

ثانيًا: التوحيد في الاصطلاح

لم يبتعد أهل العلم من أغلب الفرق الإسلامية عن المعنى اللغوي للتوحيد، إذ عرّفوه بجمعهم بين المعنيين لـ (الواحد، والأحد).. ومن هذه التعريفات:

١- التوحيد عند مشهور متكلمي الإمامية:

- قال الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ): هو القول «إنَّ الله -عز وجل- واحد في الإلهية والأزلية لا يشبهه شيء، ولا يجوز أن يماثله شيء، وأنه فرد في المعبودية لا ثاني له فيها على الوجوه كلها والأسباب»[٢٩]، وقال بإجماع أهل التوحيد على هذا المعنى، إلّا مَن شذ من أهل التشبيه، فإنهم أطلقوا ألفاظه وخالفوا في معناه[٣٠].

- وحَدَّه الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) بقوله: «هو إثبات صانع واحد مُوجِد للعالم، ونفي ما عداه»[٣١].

- وعرّفه الشيخ الوحيد الخراساني -من المعاصرين-: هو «الاعتقاد بأن الله واحد، ليس مركّبًا من أجزاء وصفات... وأنه لا شريك له في إلوهيته ولا في صفاته»[٣٢].

٢- التوحيد عند متكلمي غير الإمامية. ومنها:

- يُنقل عن الجنيد البغدادي الصوفي (ت:٢٩٧هـ) تعريفه بـ: «إفراد القديم من المحدَث»[٣٣]. والقديم هو الله سبحانه وتعالى المتفرد بوحدته، والمباين لوحدة غيره من الخلق المحدَث، إذ هناك من الخلق مَن يكون وحيدًا ولكنه لا ينفرد بوحدته؛ لوجود غيره ممن يشابهه، فضلًا عن أنَّ وحدته ليست بسيطة وإنما مركبة من مادة وصورة.

- وعرّفه القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت:٤١٥هـ): بـ «العلم بأنَّ الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه والإقرار به»[٣٤]. ثم عقّب على التعريف بقوله: «ولابد من اعتبار هذين الشرطين: العلم، والإقرار جميعًا؛ لأنه لو علِم ولم يقِر، أو أقرَّ ولم يعلَم، لم يكن موحِّدًا»[٣٥].

- وقال ابن حجر العسقلاني: «وأما أهل السنة ففسروا التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل»[٣٦]. وقال بعض: «وحّدت الله، اعتقدته منفردًا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه»[٣٧]. وعند بعض آخر: «التوحيد: إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات»[٣٨].

ومما سبق، فإنّ الجميع يوجبون عقد القلب على الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى ووصفه بكل كمال هو أهل له، وتنزيهه عن كل نقص يجلّ عنه. على أنَّ أمير الموحدين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أجزل مفهوم التوحيد بجملة واحدة جمعت كل المعارف الفلسفية والكلامية التي خاض

فيها كبار الفلاسفة والمتكلمين، وحبّروا فيها أسفارًا كثيرة، قال (عليه السلام): «التوحيد أن لا تتوهمه»[٣٩].

المطلب الثاني
من مراتب التوحيد عند متكلمي الإمامية

لم يكتفِ المتكلمون بحدِّ (مفهوم التوحيد) بمفردات وجمل تعريفية، وإنما أطنبوا في تفصيل معنى التوحيد الحق حتى جعلوه في مراتب عدّة، مستندين فيها إلى مبانيهم العقلية والنقلية، ومن هذه المراتب وفق الرؤيا الإمامية[٤٠]:

أولًا: توحيد الذات:

أي الاعتقاد بأنَّ (واحدية) الله سبحانه وتعالى، و(أحديّته) عين ذاته. (واحدٌ) بمعنى: إنَّ الله سبحانه وتعالى واحدٌ لا مثيل له ولا نظير ولا شبيه ولا عديل، كما في قول أمير الموحدين (عليه السلام): «هو واحد ليس له في الأشياء شبه»[٤١]. و (أحدٌ) بمعنى: إنَّ الذات الإلهية المقدسة ذات بسيطة لا كثرة فيها ولا تركب، وبتعبيره (عليه السلام): «وإنه عز وجل أحدي المعنى لا ينقسم في وجود ولا وهم ولا عقل»[٤٢].

واستشهدوا على هذين الشقين للتوحيد بسورة (الإخلاص)، التي تشير إلى كلا القسمين: فقوله تعالى في صدر السورة: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ).. هادفًا إلى أنه بسيط لا جزء له، وقوله في ختامها: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(..بمعنى لا ثاني له، حيث فُسِّرت الآيتان على هذا النحو دفعًا للزوم التكرار. وكل ما سواه –سبحانه وتعالى– قابل للقسمة: إمّا في الوجود، كانقسام الجسم إلى المادة والصورة، أو في الوهم، كانقسام الزمان إلى الآنات، أو في العقل، كانقسام الإنسان إلى الإنسانية والوجود.. وانقسام كل موجود متناهٍ إلى المحدود.

ثانيًا: توحيد الذات والصفات:

أي الاعتقاد بأنَّ صفاته –تعالى– الذاتية عين ذاته، وإلّا فتعدد الذات والصفة يستلزم التركيب والتجزئة، والمركب من الأجزاء محتاج إلى الأجزاء وإلى من يركبها من جهة، ومن جهة أخرى، فإنَّ زيادة الصفات على الذات تستلزم أن تكون الذات فاقدة لصفات الكمال، ومتضمنة لإمكان وجودها! بل تستلزم أن تكون الذات أيضًا ممكنة الوجود؛ لأنّ فاقد صفات الكمال وحامل إمكانها محتاج إلى الغني بالذات. قال أمير المؤمنين(عليه السلام): «أَوَّلُ الدِّيَانَةِ بِهِ مَعْرِفَتُه، وكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُه، وكَمَالُ تَوْحِيدِه نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْه... فَمَنْ وَصَفَ اللهَّ فَقَدْ حَدَّه، ومَنْ حَدَّه فَقَدْ عَدَّه، ومَنْ عَدَّه فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَه....»[٤٣].

المبحث الثاني
أحاديث التوحيـــد في الصحيحين

سيتعرض هذا المبحث لذكر جملة من أحاديث التوحيد المروية في كل من صحيحي البخاري ومسلم، ومن ثم نقدها من خلال ما ورد عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) من أحاديث توحيدية في كتاب الكافي. في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول
أحاديث ظاهرها إثبات الصورة لله عزّ وجل

١- عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا،... فلم يزل الخلق ينقص بعدُ حتى الآن»[٤٤].

٢- وعنه، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإنَّ الله خلق آدم على صورته»[٤٥].

وجه الدلالة في ظهور إثبات الصورة، قوله: «...خلق الله آدم على صورته...» على مَن يقول بعود الضمير المتصل بالصورة -أي الهاء- على لفظ الجلالة المقدس، وإذن.. فلا مناص من إثبات الصورة إلى الله -تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا-، وإلّا فلا بدّ من تأويل الحديث -على فرض صحة صدوره- توخيًّا للتنزيه، والنأي به عن التشبيه.

قراءة الحديثَين بين التشبيه والتنزيه

اختلفت قراءات المسلمين -على اختلاف فِرَقهم- لهذا المقطع من الحديثين ما بين مجسِّم ومشبِّه ومنزِّه للذات الإلهية المقدسة، يمكن إجمال بعضها في القراءتين الآتيتين:

أولًا: قراءة المجسِّمة والمشبِّهة

لا أحد من المسلمين يعترف صراحة بالتجسيم والتشبيه، ولكن قراءتهم وفهمهم للآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتشابهة، تُفضي إلى وصفهم بهذا الوصف.. لأنهم يقرؤون النصوص على ظواهرها ولا يجوّزون تأويلها، إذ القاعدة عندهم، أنّ ظواهر نصوص الكتاب والسنّة كلّها جاءت على نحو الحقيقة وليس فيها من المجاز شيء، فما كان منها محكمًا فهو هو، وما كان متشابهًا يؤمنون به كما هو دون تأويله أو تحميله أكثر من مراد واحد، بل يعتقدون أنَّ الشارع المقدس أراد منه مرادًا واحدًا -وهو الظاهر- لا غير.

وفي ذلك يقول الوليد بن مسلم: «سألت الأوزاعي، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، عن الأحاديث التي فيها الصفات، فكلّهم قالوا لي: أمرُّوها كما جاءت بلا تفسير»[٤٦]. وكذلك هو رأي مَن تأخر عنهم، كقول قوام السنّة الأصفهاني (ت: ٥٣٥هـ): الكلام في صفات الله عزّ وجل، ما جاء منها في

كتاب الله، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، «فمَذْهَبَ السَّلَفِ إِثْبَاتُهَا وَإِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا وَنَفْيُ الْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ عَنْهَا... وَإِنَّمَا أثبتناها لأنّ التوقيف ورد بها وعلى هذا مضى السلف»[٤٧]، وكذا في قول ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): «وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَعْتَقِدُ فِي خَبَرِهِ وَأَمْرِهِ مَا يُنَاقِضُ ظَاهِرَ مَا بَيَّنَهُ لَهُمْ وَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ وَأَرْشَدَهُمْ إلَيْهِ وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ تَأَوَّلَ شَيْئاً مِنْ نُصُوصِهِ عَلَى خِلَافِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ، لَا فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ اللَّهُ عَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ. وَأَنَّ مَا ظَهَرَ مِنْ هَذَا مَا ظَهَرَ إلَّا مِمَّنْ هُوَ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالِإلْحَادِ»[٤٨]، وقول ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ): «ولو أراد الله ورسوله من كلامه خلاف حقيقته وظاهره الذي يفهمه المخاطب، لكان قد كلّفه أن يفهم مراده بما لا يدل عليه، بل بما يدل على نقيض مراده، وأراد منه فهم النفي بما يدل على غاية الإثبات وفهم الشيء بما يدل على ضده ...»[٤٩].

من هنا قالوا: إنَّ الضمير المتصل في الصورة -أي الهاء- عائد إلى الله عزّ وجل، وأنَّ إضافة الصورة إليه -جلّ وعلا عن ذلك- من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

ومن هؤلاء:

١- أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، فقد روى حمدان بن علي الوراق أنه سمع أحمد بن حنبل يُجيب رجلًا سأله عن الحديث: (خلق آدم على صورته)، على صورة آدم؟ فقال أحمد: فأين الذي يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الله خلق آدم على صورة الرحمن؟ وأيّ صورة لآدم قبل أن يخلق؟. وأكّد قوله هذا ما رواه ابنه عبد الله بن احمد بن حنبل (ت:٢٩٠هـ)، أنّ رجلًا قال لأبيه: إنَّ فلانًا يقول في حديث رسول الله: (إن الله خلق آدم على صورته). فقال: على صورة الرجل. فقال أبوه: كذب، هذا قول الجهمية. وأي فائدة في هذا؟[٥٠].

٢- ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، قال: «والذي عندي -والله تعالى أعلم- أنَّ الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الأُلْف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه؛ لأنها لم تأتِ في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد»[٥١].

٣- الآجري (ت:٣٦٠هـ)، الذي عقد بابًا في كتابه الشريعة بعنوان (الإيمان بأنَّ الله عزّ وجل خلق آدم على صورته بلا كيف)، وقال: «هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يُقال فيها: كيف؟ ولِمَ؟ بل تُستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر»[٥٢].

٤- أبو يعلى الفرّاء (ت: ٤٥٨هـ)، الذي ذهب إلى وجوب الأخذ بظاهر الحديث، وفصّل قائلًا: «والكلام فيه في فصلين: أحدهما، جواز إطلاق تسمية الصورة عليه سبحانه... الفصل الثاني، في إطلاق القول: بأنه خلق آدم على صورته وأنَّ الهاء راجعة على الرحمن»[٥٣].. وقال: «والوجه فيه أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور، كما أطلقنا تسمية ذات ونفس لا كالذوات والنفوس»[٥٤].

٥- ابن تيمية الحرّاني (ت: ٧٢٨هـ): الذي ادّعى إجماع السلف حتى القرن الثالث على هذا القول. قال: «هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك»[٥٥].

وحجّة القائلين بعدم التأويل -وممن وافقهم وسار على هديهم- معضّدة بالحديث المروي عن ابن عمر في قوله: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبّحوا الوجه فإنَّ ابن آدم خُلِق على صورة الرحمن تبارك وتعالى»[٥٦].. وهو نص صحيح صريح -عندهم- غير قابل للتأويل[٥٧].

وزادوا على استدلالهم في إثبات الصورة للذات الإلهية المقدسة، ما رواه البخاري ومسلم بطريق أبي هريرة في الصحيحين، أنَّ أناسًا سألوا الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمّة فيها شافعوها أو منافقوها شك إبراهيم، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربّنا، فإذا جاءنا ربّنا عرفناه. فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: أنت ربّنا فيتبعونه...»[٥٨].

وروى البخاري الحديث بالمعنى نفسه أيضًا بطريق أبي سعيد الخدري، قال: «... وإنما ننتظر ربّنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربّكم. فيقولون: أنت ربّنا؟ فلا يكلمه إلّا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه. فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان

يسجد لله رياء وسمعة...»[٥٩].

ولا يخفى أنَّ مَن سار على هدي هؤلاء كثير، حتى وصل الأمر إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي (ت: ١٢٠٦هـ)، الذي أحيا من جديد عقيدة أهل الحديث وعقيدة منظّرهم ابن تيمية الحرّاني، ومن ثم ظهور المدرسة الوهابية المعاصرة وأعلامها المستَنسخَين عن ابن تيمية بكل ما يحمله من فكر جامد ومتقولب في قالب ظاهر النص.

تعليق:

١- القول بأنَّ ظاهر النص حجّة، نعم هو حجّة إذا كان كاشفًا عن مراد واحد للمتكلم، ولكن مع وجود القرينة -سواءً لفظية أو عقلية- التي تصرف الذهن إلى أكثر من مراد له، فلا يكون حجةً ولابد من تأويله. وحيث أنَّ ظاهر هذه النصوص تفضي إلى القول بالتشبيه وهو قبيح عقلًا، فلا مناص إذن من تأويله، لاسيما وأنَّ كلام العربّ فيه الحقيقة، وفيه المجاز، وتعبيرهم بالمجاز أبلغ من تعبيرهم بالحقيقة، وعلى ذلك شواهد كثيرة.

٢- النهي عن التأويل، والقول: بـ(أمرُّوها كما جاءت بلا تفسير) يُعدّ تعطيلًا للعقل، وردًّا على النصوص الآمرة بالتفكّر والتدبّر في آيات الكتاب العزيز وألفاظه ومعانيه. قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[٦٠]. ولا نبتعد كثيرًا عن حادثة عدي بن حاتم في فهمه للخيطَين الأبيض والأسود[٦١] الوارد ذكرهما في قوله تعالى: (...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...)[٦٢] حيث فسّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) له المعنى ولم يتركه لفهمه الخاص، لاسيما وأنَّ الناس متفاوتون في أفهامهم.

٣- الصورة مُحدَثة، ووجودها مقارن لوجود الشيء وبعده رتبةً، وهي لا تنفك عنه، والصورة لا بد لها من مصوِّر. وإذا كان كذلك، ينبري السؤال هنا -على فرض التسليم بوجود صورة للذات الإلهية المقدسة-: مَن الذي صوّر صورة الله؟؟ .. لا ريب أنَّ الجواب ينحصر بشقين، إمّا أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الذي أوجدها، ولازم هذا القول وجود الشيء قبل وجوده، وهو باطل. وإمّا أن يكون الذي أوجدها غيره، وبطلان هذا القول أولى من الأول؛ لاستلزامه القول بوجود إله آخر.

٤- الصورة لفظ يطلق على ما له حدٌّ -سواء كان ثلاثي الأبعاد أو أقل- فلا يمكن تصور صورة للشيء إلّا إذا كان ذا حدٍّ، وإذا ثبت الحد لله -تعالى عن ذلك- لزمه الفقر والحاجة.

٥- قولهم: (صورة لا كالصور) على غرار

قول المتكلمين: (له نفس لا كالأنفس) أو (ذات لا كالذوات).. ظاهر الفساد؛ لأنَّ الصورة تفيد التركيب، وذات الباري سبحانه وتعالى بسيطة، على عكس ما لو أُطلق عليه بـ (النفس، والذات) اللتان تفيدان البساطة. ثم إنَّ قولهم (صورة لا كالصور) لنفي التشبيه عن الله سبحانه وتعالى عارٍ عن الصحة؛ لأنَّ ظاهر الحديث -على رأيهم- يقتضي خلق آدم على صورته، فالصورتان في هذه الحال سواء، وهو تشبيه للمشبّه بالمشبّه به.

٦- وأخيرًا، على فرض صحة ألفاظ الحديث مجتمعة، فلا بد من تأويله، وإلّا فإنّ قول مَن لم يؤوله يضاهي قول كتبة اليهود في توراتهم العبرانية: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرًا وأنثى خلقهم»[٦٣]. وظاهر هذا النص لا يخفى على أحد، أللهم إلّا إذا أُوّل هو أيضًا.

ثانيًا: تأويل الأئمة الأطهار (عليهم السلام)

عُرِف أهل بيت النبوّة عليهم السلام بالتنزيه المطلق للذات الإلهية المقدسة، إذ أوّلوا جميع ما ورد من متشابهات -سواء في القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة- إلى ما يليق بذات الباري سبحانه وتعالى، نعم.. هم أرجعوا الضمير المتصل في (صورته) على ذات الباري سبحانه، ولكن من باب التشريف لآدم (عليه السلام)؛ كونه صفوة الله وآيته التي اختارها على سائر الصور.

ومن الأحاديث المروية عنهم بهذا الخصوص:

١-عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر(عليه السلام) عمّا يروون أنَّ الله خلق آدم على صورته، فقال: «هِيَ صُورَةٌ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ واصْطَفَاهَا اللهَّ واخْتَارَهَا عَلَى سَائِرِ الصُّوَرِ الْمُخْتَلِفَةِ فَأَضَافَهَا إِلَى نَفْسِه كَمَا أَضَافَ الْكَعْبَةَ إِلَى نَفْسِه والرُّوحَ إِلَى نَفْسِه فَقَالَ: (...بَيْتِيَ...)[٦٤] ، (...وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي...)[٦٥]»[٦٦].. أي إنها صورة من تصويري، وهي صورتي التي صوّرتها. والله تبارك وتعالى هو (...الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ...)[٦٧].

٢-سأل يونس بن ظبيان أبي عبد الله(عليه السلام) عن الجسم والصورة فقال: «... أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ مُتَنَاه والصُّورَةَ مَحْدُودَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ فَإِذَا احْتَمَلَ الْحَدَّ احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ والنُّقْصَانَ وإِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ والنُّقْصَانَ كَانَ مَخْلُوقاً. قَالَ، قُلْتُ: فَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: لَا جِسْمٌ ولَا صُورَةٌ، وهُوَ مُجَسِّمُ الأَجْسَامِ ومُصَوِّرُ الصُّوَرِ، لَمْ يَتَجَزَّأْ ولَمْ يَتَنَاه ولَمْ يَتَزَايَدْ ولَمْ يَتَنَاقَصْ، لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُونَ لَمْ يَكُنْ

بَيْنَ الْخَالِقِ والْمَخْلُوقِ فَرْقٌ، ولَا بَيْنَ الْمُنْشِئِ والْمُنْشَأِ، لَكِنْ هُوَ الْمُنْشِئُ فرق بَيْنَ مَنْ جَسَّمَه وصَوَّرَه وأَنْشَأَه، إِذْ كَانَ لَا يُشْبِهُه شَيْءٌ ولَا يُشْبِه هُوَ شَيْئاً»(٦٨)

المطلب الثاني

أحاديث ظاهرها التجسيم

أولًا: ذكر أحاديث التجسيم في الصحيحين:

١- إثبات العينين.

قال به المجسِّمة بناءً على قراءتهم للحديث الوارد عن عبد الله بن عمر، قال: «ذُكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنَّ الله لا يخفى عليكم، إنَّ اللهَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»(٦٩).. وظاهر الحديث يوحي بأنَّ الله تعالى سليم البصر، ويمتلك أكثر من عين؛ لأنَّ الدجال أعور، وله عين واحدة، «قال ابن عقيل: يحسب بعض الجهلة أنه لما نفى العَوَر عن الله عز وجل، أثبت من دليل الخطاب أنه ذو عينين»(٧٠).

ومما زاد الطين بلّة على دلالة هذا الحديث، أنه نزّه الربّ تبارك وتعالى عن العَوَر؛ ليتمكّن المسلمون من التمييز بينه وبين الدجّال، ومن ثمَّ كشف كذبه وعدم ربّوبيّته!.. تعالى الله عزّ وجل عن ذلك علوّا كبيرًا، وتنزّهَ نبيّه الكريم (صلى الله عليه وآله) عن إطلاق من مثل هذه الألفاظ، ومن مثل هذا التمثيل!!.

إثبات اليدين.

ورد ذكر (اليد)، و(اليدين)، و(اليمين) في القرآن الكريم، ولكن الذوق العربّي كان يفهم معنى هذه الألفاظ المجازية، إلّا المجسِّمة الذين أثبتوا لله جل وعلا هذه الجارحة، وكذا المشبِّهة الذين قالوا أنها يدٌ تليق به -سبحانه- لا كالأيدي(٧١).. وكذلك جاءت هذه الألفاظ في الصحيحين ولكنّها أكثر تجسيمًا وتشبيهًا، ما يجعل ظاهرها لا شك فيه على إثبات هذه الجارحة. وإذا كان القرآن الكريم قد ذكر (اليمين)، فمن هذه الأحاديث ما ذكر اليمين والشمال على حد سواء.!

عن أبي هريرة إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار. وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده. وقال: عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»(٧٢) ، وعنه -وبالمعنى نفسه- عن ابن عمر، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»(٧٣).

وفي صحيح مسلم زاد على رواية ابن عمر: «...ثم يطوي الأرضين بشماله...»(٧٤) .

وفي رواية أخرى، أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يشبّه كيفية الطيّ بيديه، والقبض بأصابعه، قال: «يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه فيقول: أنا الله، ويقبض أصابعه ويبسطها، أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟»[٧٥].

٢- إثبات الأصابع.

عن عبيدة عن عبد الله، قال: «أنَّ يهوديًا جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، إنّا نجد إنَّ الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ...(٧٦)»[٧٧].

قال ابن قتيبة -مستنكرًا على مَن أوّل الإصبع: «الذي ذهبوا إليه في تأويل الإصبع لا يشبه الحديث لأنه (عليه السلام) قال: ... إنَّ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عز وجل... فإن قال لنا: ما الإصبع عندك هاهنا؟ قلنا: ...لا نقول إصبعٌ كأصابعنا، ولا يدٌ كأيدينا، ولا قبضةٌ كقبضاتنا؛ لأنَّ كل شيء منه عز وجل لا يشبه شيئًا منّا»[٧٨].

٣- إثبات الســـاق.

وهي العلامة التي يستدل بها بعض العباد على ربّهم. إذ جاء في البخاري عن أبي سعيد الخدري، أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يصف حال الناس يوم القيامة، وكيف أنّ كل طائفة تلتحق بالربّ الذي كانت تعبده، إلّا عباد الله سبحانه وتعالى، فإنهم يبقون ينتظرون مجيء ربّهم كي يلحقوا به، «...فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربّكم. فيقولون: أنت ربّنا؟ فلا يكلمه إلّا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه. فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة...»[٧٩]. ولا أعلم متى كانت هذه المعرفة بينهم وبين ربّهم، أفي عالم الدنيا، أم في عالم الآخرة؟! وكيف يميّزون ساقه عن ساق غيره..؟!

٤- إثبات القَدَم، والرِّجل.

وإذا كانت الساق علامة المعرفة بين الربّ وبين عباده، فإنَّ النار لا تكتفي بالمزيد منهم إلّا بوضع قدمه فيها. إذ روى أبو هريرة وأنس بن مالك-بالمعنى نفسه- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قوله: «يُقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد،

فيضع الربّ تبارك وتعالى قدمه عليها، فتقول قط قط»[٨٠]، وعن أبي هريرة: «... أنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها، فتقول: هل من مزيد ثلاثًا، حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط قط»[٨١]. وعنه أيضًا: «... فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدًا...»[٨٢].

هذه الأحاديث وغيرها كثير -لم يذكرها البحث توخيًا للاختصار- آمن بها كثير من أعلام المسلمين كصفات ثابتة لله عزَّ وجلَّ، و(... سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ[٨٣] ، حتى ادعّى ابن تيمية اتفاق «سلف الأمّة وأئمتها من أهل الفقه والحديث والتصوف والمعرفة وأئمة أهل الكلام من الكلابية والكرّامية والأشعرية»[٨٤] عليها، وقال: « كل هؤلاء يثبتون لله صفة الوجه واليد ونحو ذلك»[٨٥]، ثم نقل أقوال هؤلاء الأعلام تعضيدًا لما يؤمن به، من قبيل قول أبي الحسن الأشعري (ت:٣٢٩ه): إنَّ الله على عرشه استوى، وإنَّ له يدين بلا كيف، وإنَّ له عينين بلا كيف، وإنَّ له وجهًا... وقول الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ): لله أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيّه أمّته، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجّة ردّها، نحو إخبار الله سبحانه إيانا أنه سميع بصير، وأن له يدين، وأن له وجهًا لقوله، وأن له قدمًا، وأنه يضحك من عبده المؤمن، وأنه يهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا، وأنه ليس بأعور، وأن المؤمنين يرون ربّهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وأن له إصبعًا[٨٦]، وقول شيخ الحرمين أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في كتابه الفصول في الأصول، بما جاء في كتب الصحاح من أنَّ يد الله ملأى، وأنَّ بيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع، وأنه تعالى يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماوات بيمينه، ولما خلق آدم مسح ظهره بيمينه، وقول النبي (صلى الله عليه وآله): تُعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربّك بيده غرفة من الماء فينضح قبلكم، فلعمر إلهك ما يخطئ وجه أحدكم منها قطرة، وقوله: يدنو أحدكم من ربّه حتى يضع كنفه عليه، وقوله: ما منكم من أحد إلّا سيكلمه ربّه ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، وقوله: يتجلّى لنا ربّنا يوم القيامة ضاحكًا، وفي حديث المعراج في الصحيح: ثم دنا الجبار ربّ العزّة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى...إلى غيرها من الأحاديث، هالتنا أو لم تهلنا، بلغتنا أو لم

تبلغنا، اعتقادنا فيها وفي الآي الواردة في الصفات أنا نقبلها ولا نحرّفها ولا نكيفها ولا نعطلها ولا نتأولها، وعلى العقول لا نحملها، وبصفات الخلق لا نشبهها، ولا نعمل رأينا وفكرنا فيها، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها، بل نؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها كما فعل ذلك السلف الصالح وهم القدوة لنا في كل علم... وكما روينا عن مالك والأوزاعي وسفيان والليث وأحمد بن حنبل أنهم قالوا في الأحاديث في الرؤية والنزول أمرّوها كما جاءت، وكما روى عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أنه قال في الأحاديث التي جاءت إن الله يهبط إلى السماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث، إنَّ هذه الأحاديث قد رواها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسِّرها[٨٧].

وبعد أن نقل (ابن تيمية) هذه الأقوال، استنكر على المتكلمين نسبة إثبات الأعضاء والأجزاء لله -تعالى عن ذلك علوّا كبيرا- أو كما يسمونها بـ (الصفات) إلى الحنابلة فقط، وإنما جُلّ علماء المسلمين قالوا بهذا الإثبات[٨٨]. وما قاله -ابن تيمية- حق وإنْ ادعوا عدم التكييف والتشبيه، فإنه تكييف وتشبيه شاءوا أم أبوا.

ثانيًا: التنزيه عن التجسيم في أحاديث الكافي

وقف أهل البيت (عليهم السلام) وقفة المستنكر المتبرئ من كل هذه الأوهام والتخرصات الواهنة، مبيّنين أنه إذا ما كان من ألفاظ تدل على التشبيه أو التجسيم، فإنما ذلك عائد إلى قصور اللغة وعجزها عن التعبير عن صفات الله -جل وعلا- من جهة، وإلى قصور العقل الإنساني عن فهم هذه الأوصاف من جهة أخرى..

سُئل الإمام الرضا(عليه السلام) عن التوحيد، فقال: «...عجزت دونه العبارة، وكلّت دونه الأبصار، وضل فيه تصاريف الصفات... عُرِف بغير رؤية، ووُصِف بغير صورة ونُعِت بغير جسم، لا إله إلّا الله الكبير المتعال»[٨٩]. متعالٍ عمّا يتوهمه الإنسان بخياله، وعمّا يتعقّله عن طريق حواسّه. وقد سبقه آباءه عليهم السلام في هذا الوصف، كقول أمير المؤمنين(عليه السلام) في إحدى خطبه: «لا تناله الأوهام فتقدره، ولا تتوهمه الفطن فتصوره. ولا تدركه الحواس فتحسه... ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء. ولا بعرض من الأعراض، ولا بالغيرية والأبعاض. ولا يقال له حد ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية... يُخبر لا بلسان ولهوات، ويسمع لا بخروق وأدوات»[٩٠].

وما رواه هشام بن الحكم عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام)، أنه حين سأله الزنديق عن اللهسبحانه وتعالى: «ما هو؟

قَالَ: شَيْءٌ بِخِلَافِ الأَشْيَاءِ، ارْجِعْ بِقَوْلِي إِلَى إِثْبَاتِ مَعْنًى، وأَنَّه شَيْءٌ بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ غَيْرَ أَنَّه لَا جِسْمٌ ولَا صُورَةٌ، ولَا يُحَسُّ ولَا يُجَسُّ، ولَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، لَا تُدْرِكُه الأَوْهَامُ، ولَا تَنْقُصُه الدُّهُورُ، ولَا تُغَيِّرُه الأَزْمَانُ»[٩١]. وإذا كان ربّ العزّة قد وصف نفسه بالسميع البصير، فإنّ الإمام (عليه السلام) يصفه بأنه «سَمِيعٌ بَصِيرٌ سَمِيعٌ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ وبَصِيرٌ بِغَيْرِ آلَةٍ بَلْ يَسْمَعُ بِنَفْسِه ويُبْصِرُ بِنَفْسِه»[٩٢] وهنا تبرز مشكلة قصور العبارة عن إيصال المعلومة بحقيقتها إلى السائل، فيستدرك الإمام(عليه السلام) مباشرة بقوله: «لَيْسَ قَوْلِي: إِنَّه سَمِيعٌ يَسْمَعُ بِنَفْسِه وبَصِيرٌ يُبْصِرُ بِنَفْسِه، أَنَّه شَيْءٌ والنَّفْسُ شَيْءٌ آخَرُ، ولَكِنْ أَرَدْتُ عِبَارَةً عَنْ نَفْسِي إِذْ كُنْتُ مَسْؤُولاً، وإِفْهَاماً لَكَ إِذْ كُنْتَ سَائِلاً، فَأَقُولُ: إِنَّه سَمِيعٌ بِكُلِّه لَا أَنَّ الْكُلَّ مِنْه لَه بَعْضٌ، ولَكِنِّي أَرَدْتُ إِفْهَامَكَ والتَّعْبِيرَ عَنْ نَفْسِي، ولَيْسَ مَرْجِعِي فِي ذَلِكَ إِلَّا إِلَى أَنَّه السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَالِمُ الْخَبِيرُ بِلَا اخْتِلَافِ الذَّاتِ ولَا اخْتِلَافِ الْمَعْنَى»[٩٣].

ولكن السائل لم يتوضّح المفهوم عنده بعد، فعاد ليكرر سؤاله: «فما هو؟»[٩٤]، وراح الإمام (عليه السلام) يفصّل المعنى له بدقة أعمق، بقوله: «هُوَ الرَّبُّ، وهُوَ الْمَعْبُودُ، وهُوَ اللَّهُ، ولَيْسَ قَوْلِي (اللَّهُ) إِثْبَاتَ هَذِه الْحُرُوفِ أَلِفٍ ولَامٍ وهَاءٍ، ولَا رَاءٍ ولَا بَاءٍ، ولَكِنِ ارْجِعْ إِلَى مَعْنًى وشَيْءٍ، خَالِقِ الأَشْيَاءِ وصَانِعِهَا، ونَعْتِ هَذِه الْحُرُوفِ، وهُوَ الْمَعْنَى، سُمِّيَ بِه اللَّهَ والرَّحْمَنُ والرَّحِيمُ والْعَزِيزُ وأَشْبَاه ذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِه، وهُوَ الْمَعْبُودُ جَلَّ وعَزَّ»[٩٥].

يبقى السائل في حيرة، وفضوله المعرفي يلّح عليه في تحديد ماهيّة ما يعبد، فعاد ليُسائِل الإمام(عليه السلام): «فله كيفية؟ قال [(عليه السلام)]: لا؛ لأن الكيفية جهة الصفة والإحاطة»[٩٦]، وسريعًا ما يستدرك الإمام(عليه السلام) في تبيين معنى هذا النفي؛ لئلّا تذهب الظنون بالسائل إلى تعطيل صفاته سبحانه -على ما قال به بعض المعتزلة-، أو تشبيهها بغير كيفية -على ما قالت به الأشاعرة-، فيقول(عليه السلام): «ولكن لابد من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه؛ لأن مَنْ نفاه فقد أنكره ودفع ربّوبيته وأبطله، ومَنْ شبّهه بغيره فقد أثبته بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون الربّوبية ولكن لابد من إثبات أن له كيفية لا يستحقها غيره، ولا يُشارَك فيها، ولا يُحاط بها، ولا يعلمها غيره. قال السائل: فيعاني الأشياء بنفسه؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: هو أجل من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة؛ لأنَّ ذلك صفة المخلوق الذي لا تجيء الأشياء له إلّا

بالمباشرة والمعالجة، وهو متعال نافذ الإرادة والمشيئة، فعّال لما يشاء»[٩٧].

وفي هذه الرواية نفي صريح لما ورد من أخبار في الصحاح من (الله) مسح بيمينه على ظهر آدم، وأنه يرفع الميزان ويخفضه بيده، وأنه دنى وازداد في دنوّه حتى صار في القرب من نبيّه كقرب قاب القوسين أو أدنى، وأنه يتكلّف النزول إلى السماء الدنيا ليسمع دعاء عباده واستغفارهم وكأنه لا يسمعهم إلّا إذا نزل إلى سمائهم، وأنه... وأنه... وكل هذه المعالجات لا تكون إلّا بوجود الآلة. تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرًا، و(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ)[٩٨].

الخاتمة والنتائج

لو تأمّل القارئ قليلًا في ما نُسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كتب الصحاح من أحاديث توحيدية، وقارنها مع ما روي عن الأئمة الأطهار في كتاب الكافي، للاحظ مدى البون الشاسع في المستوى الفكري بين ما نُسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وما روي عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام). فهل هذا يعني أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان قاصرًا عن التعبير بمثل هذه المعارف التوحيدية التي صدرت من آل بيته؟! أم أنَّ هناك سرّ في هذا التباين؟!.

الذي يبدو لي -والله تعالى أعلم- بعض احتمالات:

١- إنّ جلَّ الأحاديث التوحيدية المنسوبة إليه (صلى الله عليه وآله) لم تصدر عنه، وإنما هي من عمل الوضّاعين ووعّاظ السلاطين.

٢- لا.. أنها صدرت عنه، ولكن بغير هذه الألفاظ الظاهرة في التجسيم حقيقة، وإنما آلت إلى هذه الألفاظ، إما لقصور في فهم الراوي -إذا أردنا حسن الظن به- أو أنَّ هناك أيدٍ خفية تقصّدت في بث مثل هذه الترّهات لتشويه الجانب العقدي الإسلامي.

٣- إنَّ ما ورد من ألفاظ قرآنية ونبوية على

نحو المجاز، كانت مما تعارف عليه العربّ -ومنهم المسلمون- بحيث لم يكونوا بحاجة إلى السؤال عن معانيها.

٤- إنَّ الجو الفكري العام للمسلمين آنذاك كان بسيطًا وساذجًا، إلى درجة أنّهم كانوا يأخذون ما يصدر من النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ المتلقّي فقط، دون أن يفقهوا ويتدبّروا فيما يُقال لهم، وأنَّ النبي(صلى الله عليه وآله) لم يفصِّل ولم يعمِّق في بث هذه المعارف لقصور عامة المسلمين[٩٩] عن فهمها. على عكس الجو الفكري الذي عاصره الأئمة عليهم السلام، لاسيما بعد احتكاك المسلمين بالثقافات الأخرى.

وبعد هذا الاستقراء الموجز لمفهوم التوحيد واستعراض الأحاديث التي نقلها البخاري ومسلم في صحيحيهما، والكليني في أصوله، خرج البحث بالنتائج الآتية:

- إن العقل بمفرده غير قادر على التوصل إلى المفهوم الحقيقي للتوحيد، إلّا بمعونة الوحي وترجمانه المتمثل بالنبي (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام).

- أفاد التنظير الكلامي، أنَّ للتوحيد مراتب من حيث الذات المقدسة وصفاتها وأفعالها، وقد وقع الخلاف بين المتكلمين الإسلاميين في فهم هذه المراتب وحيثياتها، وكانت النتائج التي توصلوا إليها أن جعلت منهم فِرَقًا متضادة إلى حد سفك الدماء.

- ما جاء في القرآن الكريم من آيات متشابهات جعلت من بعض المسلمين يفهمون أن لله تعالى صفات مقاسة على صفات الإنسان، وزاد هذا الأمر تعضيدًا ما جاء في كتب الصحاح والسنن من أحاديث متشابهة أو موضوعة، فظهر المجسِّمة والمشبِّهة...

- من استقراء أحاديث التوحيد عند البخاري ومسلم أتضح أن أغلبها مروية عن أبي هريرة، الأمر الذي يستدعي الوقوف والنظر فيها، لأنه كان معروفًا بمجالسته كعب الأحبار الذي كان يروي الأساطير التوراتية المختلقة على أيدي الأحبار، كما أن المعروف عن أبي هريرة أنه لم يصطحب الرسول إلّا لفترة وجيزة لا تتناسب مع كثرة الأحاديث التي رواها.

- جميع الروايات الواردة في التوحيد هي روايات أحاد لا يمكن التعويل عليها ما لم تمحص وتعادل مع غيرها، أو يُحكَم العقل فيها، لأن المطلوب في العقائد هو الإذعان وعقد القلب ونفي الريب والشك.

الهـــوامش

١ - النحل/ ١٢٥.

٢ - الطباطبائي: محمد حسين (ت: ١٤١٢هـ)/ الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية-قم المقدسة، ٢/ ٦٨.

٣ - النصر/ ٢.

٤ - محمود أبو ريَّه (ت: ١٣٨٥هـ)/ شيخ المضيرة أبو هريرة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت، ط٣، ص٩٠-٩١.

*- قال ابن منظور: كل شيء أسندت إليه شيئًا فهو مسند، وما يستند إليه يسمى مسندًا. وأما معناه اصطلاحا: فقد قال الأزهري: المسند من حديث ما اتصل إسناده حتى يسند إلى النبي (صلى الله عليه وآله) والمرسل والمنقطع: ما لم يتصل . ظ لسان العرب، ٣/ ٢٢٠-٢٢١ مادة (سند).. وقال السيد الصدر: فهو -أي المسند- إن علمت سلسلته بأجمعها ولم يسقط منها أحد من الرواة -بأن يكون كل واحد أخذه ممن هو فوقه- حتى وصل إلى منتهاه فمسند، ويقال له: الموصول والمتصل. وأكثر ما يستعمل في ما جاء عن النبي (صلى الله عليه وآله). ظ نهاية الدراية، ص١٨٦..

٦ - ظ: ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)/ هدي الساري -مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري-، دار إحياء التراث العربّي-بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص٥.

٧ - ابن حجر العسقلاني/ هدي الساري، ص٥.

٨ - ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري/ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٩.

٩ - م. ن. ص١٩-٢٠.

١٠ - محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف/ شرح مسلم، دار الكتاب العربّي-بيروت، ط١٩٨٧، ١/ ١٤.

١١ - م. ن. ١/ ١٤-١٥.

١٢ - الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي (ت:٣٢٩هـ)/ الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية- إيران، حيدري، ط٥.، ١/ ٨ -مقدمة الكتاب بقلم المؤلف.

١٣ - م. ن. ١/ ٨-٩.

١٤ - م. ن. ١/ ٩.

١٥ - ظ: علي البروجردي (ت: ١٣١٣هـ)/ طرائف المقال، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة - قم المقدسة، ط١ (١٤١٠هـ)، ٢/ ٥٢٤ ، الشيخ علي الخاقاني (ت:١٣٣٤هـ)/ رجال الخاقاني، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مركز نشر مكتب الإعلام الإسلامي، ط٢ (١٤٠٤هـ)، ص١٨ ، السيد حسن الصدر (١٣٥١هـ)/ نهاية الدراية، تحقيق: ماجد الغربّاوي، نشر المشعر، اعتماد - قم، ص٥٤.. وغيرهم.

١٦ - المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري/ تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق: حسين درگاهي، دار المفيد-بيروت، ط٢ (١٩٩٣م)، ص٧٠ ، وأنظر أيضًا: الشيخ عباس القمي(ت: ١٣٥٩هـ)/ الكُنى والألقاب، مكتبة الصدر- طهران، ٣/ ١٢٠.

١٧ - المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي الأصفهاني (ت: ١١١١هـ)/ بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: يحيى العابدي، مؤسسة الوفاء- بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ١٠٤/ ١٩٠.

١٨ - بحر العلوم: محمد المهدي الطباطبائي/ الفوائد الرجالية، تحقيق: محمد صادق، حسين بحر العلوم، مكتبة الصادق-طهران، آفتاب، ط١، ٣/ ٣٣٠.

١٩ - ظ حسن الحكيم/ مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث، ط١ ، ص١٣١.

٢٠ - ظ المفيد (ت:٤١٣ه)/ المسائل السروية، تحقيق: صائب عبد الحميد، دار المفيد - بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ص٧٣ ، الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ)/ الاستبصار فيما أختلف من الأخبار، تحقيق وتعليق: حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية- طهران، خورشيد، ط٤، ٢/ ٧٧ .

٢١ - الطوسي/ الاستبصار، ٣/ ١٥٨ .

٢٢ - ظ المفيد/ المسائل السروية، ص٧٢.

٢٣ - محمد بن علي الطباطبائي/ مفاتيح الأصول، طبعة حجرية، ص٣٣٤-٣٣٥.

٢٤ - ظ معجم رجال الحديث، ط٥ ، ١٩٩٢م، ١/ ٨٦.

٢٥ - ظ الخليل الفراهيدي/ كتاب العين، ٣/ ٢٨٠.

٢٦ - ظ ابن منظور/ لسان العربّ، مادة (وحد)، ٣/ ٤٤٨.

٢٧ - ظ م. ن. ٣/ ٤٥٠.

٢٨ - ظ الخليل الفراهيدي/ كتاب العين، ٣/ ٢٨١ ، ابن منظور/ لسان العربّ، ٣/ ٢٥١.

٢٩ - الشيخ المفيد/ أوائل المقالات، ص٥١.

٣٠ - ظ م. ن. ص٥١.

٣١ - الطوسي/ الرسائل العشر، ص١٠٣.

٣٢ - الوحيد الخراساني/ مقدمة في أصول الدين، ص٣٦.

٣٣ - ظ: الذهبي/ سِيَر أعلام النبلاء، ١٤/ ٦٩ ، ابن حجر العسقلاني/ فتح الباري-شرح صحيح البخاري، ١٣/ ٢٩٠.

٣٤ - القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي/ شرح الأصول الخمسة، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ص١٢٨.

٣٥ - م. ن. ص١٢٨.

٣٦ - ابن حجر العسقلاني/ فتح الباري، ١٣/ ٢٩٠.

٣٧ - م. ن. ١٣/ ٢٩٠. وأيضًا: العيني/ عمدة القاري، ٢٥/ ٨١.

٣٨ - العيني/ عمدة القاري، ٢٥/ ٨١.

٣٩ - خطب الإمام علي ﷺ/ نهج البلاغة، بشرح: الشيخ محمد عبده، دار الذخائر - قم، النهضة- قم، ط١ (١٤١٢هـ)، ٤/ ١٠٨.

٤٠ - ظ: وحيد الخراساني/ مقدمة في أصول الدين، ١/ هامش ص٣٦ ، الشيخ جعفر السبحاني/ الإلهيات، الدار الإسلامية- بيروت، ط١ ، ١٩٨٩م، ص٣٥٦.

٤١ - الصدوق (ت: ٣٨١هـ)/ التوحيد، تصحيح وتعليق: هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في قم المقدسة، ص٨٤.

٤٢ - م. ن. ص٨٤.

٤٣ - الكليني/ الأصول من الكافي، ١/ ١٤١.

٤٤ - البخاري/ صحيح البخاري، ٧/ ١٢٥ ، مسلم/ الجامع الصحيح، ٨/ ١٤٩.

٤٥ – مسلم/ الجامع الصحيح، ٨/ ٣٢.
٤٦ – ظ: ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)/ الاستذكار، تحقيق: سالم، ومحمد، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ٢/ ٥١٣ ، المباركفوري (ت: ١٢٨٢هـ)/ تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ ، ١٩٩٠م، ٣/ ٢٦٧.
٤٧ – قوام السنّة الأصفهاني: أبو القاسم اسماعيل بن محمد التيمي/ الحجة في بيان المحجّة، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية، ١/ ١٧٤.
٤٨ – تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني/ مجموع الفتاوى، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، ١٣/ ٢٥٢.
٤٩ – ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر / مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، دار الحديث، ٢٠٠١م، ص٥١.
٥٠ – ظ: الذهبي/ ميزان الاعتدال، ١/ ٦٠٣ ، ابن حجر/ لسان الميزان، ٢/ ٣٥٧ .
٥١ – ابن قتبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم/ تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية-بيروت، ص٢٠٦.
٥٢ – محمد بن الحسين/ الشريعة، ٣/ ١١٥٣ .
٥٣ – أبو يعلى الفراء/ إبطال التأويلات، ١/ ٨٠-٨١.
٥٤ – م. ن. ١/ ٨١.
٥٥ – ابن تيمية/ بيان تلبيس الجهمية، تحقيق: د. عبد الرحمن اليحيى، القسم السادس، ٢/ ٣٩٦.
٥٦ – الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)/ المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربّي، ط٢، ١٢/ ٣٢٩ ، الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)/ مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة ١٩٨٨م، ٨/ ١٠٦.
٥٧ – ظ: حمود بن عبد الله التويجري/ عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، دار اللواء، ط٢ ، ١٤٠٩ه، ص٤٠.
٥٨ – البخاري/ صحيح البخاري، ٨/ ١٨٠ ، مسلم/ الجامع الصحيح، ١/ ١١٢.
٥٩ – م. ن. ٨/ ١٨٢.
٦٠ – محمد/ ٢٤.
٦١ – عن عدي بن حاتم، قال: «لما نزلت ﴿... وكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ...﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فقال: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار» البخاري/ صحيح البخاري، ٢/ ٢٣١.
٦٢ – البقرة/ ١٨٧.
٦٣ – سفر التكوين/ ١: ٢٦-٢٧.
٦٤ – الحج/ ٢٦.
٦٥ – الحِجر/ ٢٩.
٦٦ – الكليني/ الأصول من الكافي، ١/ ١٣٤.
٦٧ – الحشر/ ٢٤.
٦٨ – الكليني/ الكافي، ١/ ١٠٦.
٦٩ – البخاري/ صحيح البخاري، ٤/ ٣٣ ، ٨/ ١٧٢ ، مسلم/ الجامع الصحيح، ١/ ١٠٧.
٧٠ – ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي (ت: ٥٩٧هـ)/ دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق: حسن السقاف، دار الإمام النووي-عمّان، ط٣، ١٩٩٢م، ٢٦٣-٢٦٤.
٧١ – ظ: أبو الليث السمرقندي (ت: ٣٨٣هـ)/

تفسير السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر- بيروت، ٣/ ١٦٦ ، الثعلبي (ت:٤٢٧هـ)/ تفسير الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربّي- بيروت، ط١ (٢٠٠٢م)، ٤/ ٨٨ .

٧٢ - البخاري/ صحيح البخاري، ٨/ ١٧٣ ، مسلم/ الجامع الصحيح، ٣/ ٧٨.

٧٣ - م. ن.، ٦/ ٣٣ ، ٨/ ١٧٣ ، ظ م. ن. ، ٨/ ١٢٦.

٧٤ - مسلم/ الجامع الصحيح، ٨/ ١٢٧.

٧٥ - م. ن. ٨/ ١٢٧.

٧٦ - الأنعام/ ٩١.

٧٧ - البخاري/ صحيح البخاري، ٦/ ٣٣ ، وبالمعنى نفسه في ٨/ ١٧٤ ، مسلم/ الجامع الصحيح، ٨/ ١٢٥ ، ١٢٦.

٧٨ - ابن قتيبة/ تأويل مختلف الحديث، ص١٩٥-١٩٦.

٧٩ - البخاري/ صحيح البخاري، ٨/ ١٨٢.

٨٠ - م. ن. ، ٦/ ٤٨.

٨١ - م. ن. ، ٨/ ١٨٦-١٨٧ ، ومثله في صحيح مسلم، ٨/ ١٥١، ١٥٢ .

٨٢ - م. ن. ، ٦/ ٤٨ ، ومثله في صحيح مسلم، ٨/ ١٥١.

٨٣ - الأنعام/ ١٠٠.

٨٤ -ابن تيمية: أبو العباس أحمد عبد الحليم الحرّاني (ت: ٧٢٨هـ)/ مجموع الفتاوى -كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ٤/ ١٧٤.

٨٥ - م. ن. ٤/ ١٧٤.

٨٦ - م. ن. ٤/ ١٨٣.

٨٧ - ظ: م. ن. ٤/ ١٨٤-١٨٦.

٨٨ - ظ: م. ن. ٤/ ١٨٦.

٨٩ - الكليني/ الأصول من الكافي، ١/ ١٠٥.

٩٠ - خطب الإمام علي (عليه السلام)/ نهج البلاغة، ٢/ ١٢٢

٩١ - م. ن. ، ١/ ٨٣.

٩٢ - الكليني/ الكافي، ١/ ٨٣ ، الرواية نفسها.

٩٣ - م. ن.

٩٤ - م. ن.

٩٥ - م. ن.

٩٦ - م. ن.

٩٧ -م. ن. ١/ ٨٤.

٩٨ - الصافات/ ١٨٠.

٩٩ - أقول عامة المسلمين؛ لأن في المسلمين مَن كان علمه خارقًا لا يُطيقه غيره.. فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ذكرت التقية يومًا عند علي بن الحسين عليهما السلام فقال: والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق؟. إنَّ علم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا نبي مرسل، أو ملك مقربّ، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: وإنما صار سلمان من العلماء لأنه أمريء منّا أهل البيت، فلذلك نسبته إلى العلماء» - الشيخ الكليني/ الكافي، ١/ ٤٠١.

وظاهر الحديث يُنبئ أنَّ مقام سلمان (رضوان الله تعالى عليه) ودرجته العلمية أرفع من مقام أبي ذر (رضوان الله تعالى عليه)، ألأمر الذي مكّنه من حمل علوم آل محمد (عليهم السلام). .

المصادر والمراجع

- خير ما يبتدأ به : القرآن الكريم
١- الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين (ت:٣٦٠هـ)/ الشريعة، تحقيق: عبد الله بن عمر الميجي، دار الوطن - الرياض، ط١ (١٤١٨هـ).
٢- بحر العلوم: محمد المهدي الطباطبائي (ت: ١٢١٢هـ)/ الفوائد الرجالية، تحقيق: محمد صادق، حسين بحر العلوم، مكتبة الصادق- طهران، آفتاب، ط١.
٣- البخاري: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)/ صحيح البخاري، دار الفكر- بيروت (طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول)، (١٩٨١م).
٤- ابن تيمية: شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)/
٥- بيان تلبيس الجهمية-القسم السادس، تحقيق: عبد العزيز اليحيى، دار القاسم، ط٢، ١٤٢١هـ..
٦- مجموع الفتاوى -كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط٢
٧- الثعلبي: أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت:٤٢٧هـ)/ تفسير الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربّي- بيروت، ط١ (٢٠٠٢م).
٨- جعفر السبحاني/ الإلهيات، الدار الإسلامية- بيروت، ط١ (١٩٨٩م).
٩- جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)/ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة -بيروت.
١٠- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي (ت: ٥٩٧هـ)/ دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق: حسن السقاف، دار الإمام النووي - عمّان، ط٣ (١٩٩٢م).
١١- ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)/
١٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ط٢.
١٣- لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢ (١٩٧١م).
١٤- هدي الساري -مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري-، دار إحياء التراث العربّي - بيروت، ط١ (١٩٨٨م).
١٥- ابن حجر الهيتمي (ت:٩٧٣هـ)/ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن، كامل، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤١٧هـ).
١٦- حسن الحكيم/ مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث، ط١ .
١٧- السيد حسن الصدر (١٣٥١هـ)/ نهاية الدراية، تحقيق: ماجد الغربّاوي، نشر المشعر، اعتماد - قم.
١٨- حمود بن عبد الله التويجري/ عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، دار اللواء، ط٢ (١٤٠٩هـ).
١٩- الخليل الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ)/ كتاب العين، تحقيق: د. مهدي ، د. إبراهيم، مؤسسة دار الهجرة، ط٢ (١٤٠٩هـ)..
٢٠- الخوئي: أبو القاسم بن السيد علي أكبر الموسوي (ت: ١٤١٣هـ)/ معجم رجال الحديث، ط٥ (١٩٩٢م).

٢١- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)/ سِيَر أعلام النبلاء، تحقيق: حسين إلّاسد، إشراف وتخريج: شعيب إلّارنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٩ (١٩٩٣م).
٢٢- ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة- بيروت، ط١ (١٩٦٣م).
٢٣- الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)/ التوحيد، تصحيح وتعليق: هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة.
٢٤- ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت: ٦٤٣هـ)/ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ (١٩٩٥).
٢٥- العلّامة الطباطبائي: محمد حسين (ت: ١٤١٢هـ)/ الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية-قم المقدسة.
٢٦- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ)/ المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربّي، ط٢.
٢٧- الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ)/ الاستبصار فيما أختلف من إلّاخبار، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية - طهران، خورشيد، ط٤.
٢٨- الرسائل العشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين -قم المشرفة.
٢٩- الشيخ عباس القمي(ت: ١٣٥٩هـ)/ الكُنى والألقاب، مكتبة الصدر -طهران.
٣٠- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله أحمد (ت: ٤٦٣هـ)/ الاستذكار، تحقيق: سالم ، محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ (٢٠٠٠م).
٣١- القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي (ت: ٤١٥هـ)/ شرح الأصول الخمسة، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة.
٣٢- الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)/ نهج البلاغة، جمع: الشريف الرضي، شرح: الشيخ محمد عبده، دار الذخائر-قم، النهضة-قم، ط١ (١٤١٢هـ).
٣٣- الشيخ علي البروجردي (ت: ١٣١٣هـ)/ طرائف المقال، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة - قم المقدسة، ط١ (١٤١٠هـ).
٣٤- الشيخ علي الخاقاني (ت:١٣٣٤هـ)/ رجال الخاقاني، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مركز نشر مكتب الإعلام الإسلامي، ط٢ (١٤٠٤هـ).
٣٥- العيني: بدر الدين محمد بن أحمد (ت: ٨٥٥هـ)/ عمدة القاري، دار إحياء التراث العربّي- بيروت.
٣٦- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ)/ تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٧- قوام السنّة إلّاصبهاني (ت: ٥٥٣هـ)/ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنّة، تحقيق: د. مجمد بن ربّيع، محمد بن محمود، دار الراية، ط٢ (١٤١٩هـ).
٣٨- الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب

الرازي (ت:٣٢٩هـ)/ الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية- إيران، حيدري، ط٥.
٣٩- أبو الليث السمرقندي (ت: ٣٨٣هـ)/ تفسير السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر- بيروت.
٤٠- العلّامة المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي الأصفهاني (ت: ١١١١هـ)/ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: يحيى العابدي، مؤسسة الوفاء- بيروت، ط٢ (١٩٨٣م).
٤١- السيد محمد بن السيد علي الطباطبائي (ت: ١٢٤٢هـ)/ مفاتيح الأصول، طبعة حجرية،
٤٢- محمود أبو ريَّه (ت: ١٣٨٥هـ)/ شيخ المضيرة أبو هريرة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط٣.
٤٣- مسلم: أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)/ الجامع الصحيح، دار الفكر - بيروت، (طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة).
٤٤- الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت: ٤١٣هـ)/ أوائل المقالات، تحقيق إبراهيم الأنصاري، دار المفيد -بيروت، ط٢ (١٩٩٣م).
٤٥- تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق: حسين درگاهي، دار المفيد - بيروت، ط٢ (١٩٩٣م).
٤٦- المسائل السروية، تحقيق: صائب عبد الحميد، دار المفيد-بيروت، ط٢ (١٩٩٣م).
٤٧- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين (ت:٧١١هـ)/ لسان العربّ، نشر أدب الحوزة - قم، طبعة (١٤٠٥هـ).
٤٨- المباركفوري: أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن (ت:١٢٨٢هـ)/ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ (١٩٩٠م).
٤٩- النوري: الميرزا حسن الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ)/ خاتمة المستدرك، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث-قم، ستارة-قم، ط١ (١٤١٥هـ).
٥٠- النووي: محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)/ شرح مسلم، دار الكتاب العربّي - بيروت، ط (٩٨٧م).
٥١- الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ)/ مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة ١٩٨٨م.
٥٢- الوحيد الخراساني/ مقدمة في أصول الدين، بدون دار نشر أو طبع.
٥٣- أبو يعلى: الحسن بن علي بن إسماعيل الأشعري (ت: ٤٥٨هـ)/ إبطال التأويلات، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، ط٣ (١٤١١هـ)..

Monotheism in Assahehain & Alkafi Comparative study Conclusion and results

After this brief induction to the concept of Monotheism and review conversations conveyed by Bukhari and Muslim in their hadiths، and Kulayni in assets، the fond research the following results:

- The mind alone is unable to reach a true concept of unification، but with the help of revelation and his interpreter represented by the Prophet (Allah bless him and his family). and the pure members of his household (peace be upon them).

- According to theology theorizing. that Monotheism has levels in terms of the sacred self and his qualities and actions. has signed a dispute between the Muslims theologians in understanding of these mattresses. merits. and the findings that they got made them irreconcilable groups to a degree of bloodshed.

- What is mentioned in the Holy Quran verses of Assumptions made some Muslims understand that God attributes are measured on the characteristics of Man. and increased this is support what came in the books of Saheeh of the Presumptive indication conversations or Placed. So that appeared Islamic sects.

- Through the induction talk unification at Al-Bukhari and Muslim. it became clear that most irrigated from Abu Hurayrah. which requires standing and consideration. as who was known to sitting with Dean (Kaab Al-ahbar). who was told the myths biblical fabricated. and is known from Abu Hurayrah that he did not accompany messenger only for a short time is not commensurate with the large number of conversations that he narrated.

- All novels are set in the uniformity of individual accounts can not be relied upon unless scrutinized and Likely with the other. or which governs the mind. as called for in the beliefs and compliance is a heart faith and a submission deny uncertainty and doubt.